الإهداء

إلى تلك الشابة المريضة

التي علمتني الحياة كلها، من مكانها الصغير فوق السرير الذي لا ترى غيره.

إلى...

التي كنت أسمع صوت طقطقات عِظامها وهي محنية تُجلد كراساتي.

إلى ضفيرتها التي كنت أهرب من تمشيطها لألعب.

إلى أمي هالة.

التي لم أعطها الفرصة لتعلمني ما أرادت، إلا عندما ماتت.

لعلكِ في عالمك الآن تحققين حلمك في أن تجدي الحب الصادق.

اسمي لا يعني شيئًا بعد اسمك

obeikandl.com

obeikandl.com

■ ملحوظة

الكتاب يسرد تفاصيل وخبايا مجتمع الكيان الصهيوني المعروف بـ(إسرائيل).

وسيكون لقبه الكيان الصهيوني أو -ربما مجازًا- (إسرائيل)، إلا أن المؤلف استخدم أحيانًا كلمة (دولة إسرائيل) على سبيل الضرورة أو نقلاً عن لسان آخرين، أو سهوًا يعتذر بشدة عنه.

■ ■ ■

obeikandl.com

تقديم

◆◆◆

obeikandl.com

تقديم

يندرج هذا الكتاب تحت بند «أعرف عدوك»، ذلك «أن تعرف نفسك وتعرف عدوك، ففي مئة معركة ستنتصر مئة مرة»، على حد تعبير الإستراتيجي الصيني الشهير، صن شزو، قبل ما يربو على الأربعمئة سنة.

لقد تعددت بذور فناء الكيان الصهيوني، فمستوطنوه تحدروا من منابع شتى، قومية، ولغوية، ما جعل ذلك الكيان فسيفساء، نجحت الصهيونية في بقائها متراصة، بتأثير جملة من العوامل، لعل في مقدمتها: ضمان مستوى معيشة عالٍ، يفوق نظيره في أي قطر غربي، ومن باب أولى في أي قطر عربي مجاور، بمراحل.

غني عن القول بأنه ما كان للكيان الصهيوني أن يضمن مستوى المعيشة ذلك، لولا المساعدات المالية الأمريكية السخية للكيان الصهيوني، أساسًا.

أما ثاني أهم عوامل رص تلك الفسيفساء، فلعله ذاك الإلحاح الصهيوني على «الخطر العربي» المزعوم.

يبقى ثالث العوامل، والمتمثل في ضمان حريتيْ التَعبير والتغيير في الكيان.

بذا تحقق لكل من وَفَد إلى فلسطين المحتلة أن يوفر لنفسه حياة بسبع نجوم!

من هنا يصدق القول بأن العد التنازلي للكيان الصهيوني لن يبدأ قبل سقوط الإمبريالية الأمريكية، فضلاً عن أن هذا الكيان لن يسقط من تلقاء نفسه، بل إن إسقاطه يحتاج إلى نضال دؤوب، وتضحيات جسام، وبرنامج سياسي سليم.

نأتي إلى مؤلفتنا ياسمين مجدي، التي أخذت على عاتقها الدخول في التفاصيل، حيث يكمن الشيطان. مفتتحة بباب عن «المجتمع من الداخل»، بدءًا من تنافر العمارة،

بما يوازي تنافر التكوين النفسي لمستوطني الكيان الصهيوني، إلى بوابة الدخول إلى (إسرائيل)، والخروج منها، إلى الأجواء المجتمعية، والحب، والجنس، والمثليين، فضلاً عن الحياة الدينية والعلمانية، والحياة العملية، وصولاً إلى الحياة الثقافية.

عن «جرائم وقضايا الفساد» كان الباب الثاني، ليقدم «فضائح الكراسي الرئاسية»، من رئيس دولة الكيان السابق، موشيه كتساف، الذي دفع منصبه هذا، بسبب نزوة عابرة، أو الوزير حاييم رامون صاحب القُبلة التي أفقدته حياته السياسية إلى شارون الابن، وغرقه في الفساد حتى أذنيه، فضلاً عن «أشباح لبنانية تكشف عن وزير سيء السمعة»، و«كوكتيل من قصص الفساد الممنوعة».

كما تتطرق الفصل الثاني إلى «جرائم من الدرجة الثانية»، حيث «الانفتاح في العلاقات لم يمنع وجود المغتصبين»، و«جواسيس وقتلة يُطالب بإطلاق سراحهم»، و«حوادث مرورية».

يحمل الباب الثالث عنوان «مرايا»، ابتداءً من «تصريحات ما بعد رؤيتهم لأنفسهم في مرآة الحرب»، وصولاً إلى «كيف يرون الآخر؟»، وخصوصًا البلاد العربية، وعلى نحو أخص، فلسطين، ومصر، والإسلام.

لا تكتفي ياسمين بهذا كلِّ، بل تلحقه بباب أخير، رابع، بعنوان «مدونات إسرائيلية»، للدخول إلى تلافيف التجمع الصهيوني.

بهذا تكون ياسمين أسهمت في إضاءة جوانب عدة من حياة عدونا الصهيوني، بما يوفر لنا المزيد من الوضوح الفكري، ويؤهلنا لقراءة واقعنا، قبل أن نصنع استراتيجياتنا. «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»، صدق الله العظيم.

عبد القادر ياسين

القاهرة في ١٥/ ١/ ٢٠٠٨م

العفريت والحطّاب

هل كان القلق يمنعني من مقاومة الكثير مما واجهني، لأجل خروج هذا الكتاب إلى النور؟ كان قدره غريبًا، وما حدث له علامة قد تعطي معنيين؛ الأول، هو أن الدنيا تقول الأفضل له ألا يظهر، أما الثاني فربما أن كل تلك الصعوبات تخفي خلفها شيئًا جميلاً للكتاب..ولم أكن أعرف أيهما مصيره.

هذا الكتاب عن الإسرائيليين، وهو موجه إلى العرب، حيث يحاول تعديل مسار معلوماتنا عن هذا الكيان، الذي يشغل حيزًا في المنطقة، فيُسرب أساطير وحكايات، خيالها أكثر من واقعها. وقد أسهم في صنع هذه الصورة غير الحقيقية تلك الدعاية الإعلامية، من خلال تجاهلها الحديث عن الوجه السلبي الآخر لحكومة (إسرائيل)، التي ترتدي أحلى فساتينها أمام العالم، بينما في داخلها يكثر الحديث عن خط الفقر، وأزمة البطالة، ومشكلة المياه، وقضايا التلوث، والتعليم، والتجسس، والدعارة، والأوضاع في السجون، وأحوال المرضى النفسيين، واضطهاد المرأة، والرجل، وحتى الطفل.

كواليس حياتهم سيروّونها بأنفسهم، عبر ما كتبوه في العديد من الصحف الإسرائيلية، التي اعتمدنا عليها، مصدرًا رئيسيًّا في نسخها الإنجليزية، ليقدموا لنا صورة حية للسنوات الأخيرة لمجتمعهم، بكل مميزاته، وعيوبه، ورؤاه، وعنصريته، ومشاكله الدينية، والاقتصادية، والثقافية، والجنسية. كما يلقون الضوء على أساليب حياتهم، ومعمار بيوتهم، وأسعار السلع، والغلاء، وأهم القضايا التي شغلت الرأي العام، في الفترة الأخيرة، وما يعلنونه من محاولات لتنصيرهم، أو حتى اكتشافهم لقبر المسيح، كما سيحكون عن قصص الأدب، والسينما، والرقص، والغناء، وحتى

الحب والزواج، لعل ذلك يمكننا من مواجهة مخاوفنا من الآخر، بعد أن ندركه جيدًا، خصوصًا ونحن نستمع لهم، يتحدثون عن الأقطار العربية، ورؤسائها، وأيديولوجية الإسلام والمسيحية، معلقين على أهم الأحداث -المصرية بشكل خاص- من معارض للكتاب، وحركات أدبية، وفرص العمل، والزواج للشباب. وقد يتكلف أحدهم برحلة إلى إحدى المدن العربية ليسرد تفاصيل يومياته فيها، فينتقد الكثير مما رآه، وهو الأمر المفيد لنا، لأنه يمكننا من رؤية عيوبنا تحت مجهر الأعداء، عيوبنا التي تصبح فجة، وكارثية، ومقززة في كتاباتهم، الأمر الذي أتمنى أن نتعلم منه، فنتجاوزه، وذلك أفضل من أن نجلس في حجرات مكيَّفة، نتحدث عن كيان لا نعرف عنه شيئًا!

بذلك، حاولت، قدر الإمكان نقل ما يجري في الكواليس الإسرائيلية، دون تقديم رأيي، فنحيت صوتي قليلاً حتى نسمع إلى كلام الإسرائيليين، ونتمكن من رؤية الحقيقة، كما تجري داخل الكيان الصهيوني. فكم من كتاب خرج يسب الكيان الصهيوني، سبًّا عاطفيًا، دون أن يعتمد على حقائق. وربما تفيدنا إحدى الأساطير الأفريقية، بعنوان «الحطَّاب والعفريت»، التي تحكي عن «عفريت خطف حطابًا، واشترط لتركه ينجو، أن يضرب أمه، عندما يعود، فرفض. فطلب منه أن يضرب أباه، فرفض. فطلب منه أن يشرب خمرًا. فرفض. وتحت الضغط، وافق وشرب الخمر، وحين عاد إلى المنزل، ضرب أمه وأباه»!. ونحن، يوميًا، نستمع إلى كلام العفريت، فنردد شعارات كبرى، وبدلاً من أن يخدم ذلك قضيتنا الفلسطينية يؤذيها، فنجد الإسرائيليين، بذكاء، يستخدمون الواقع الفلسطيني اليومي للترويج لدى العالم بأن الفلسطينيين يقتلون بعضهم البعض، وبالتالي يحتاجون لتدخل (إسرائيل) من أجل حمايتهم والحفاظ على أرواحهم!. وتؤكد (إسرائيل)، بدورها، للعالم أنها

لن تتخلى عنهم! بينما نحن ماذا نفعل؟ أعتقد أننا نشرب خمرًا، ونختار اختيار نعتقده الأصوب، يتلخص في الحكي عن كيان لا نعرفه، فُنضعف قضيتنا!

كل ما أريده من هذا الكتاب أن نعرف ماذا يحدث داخل الكيان الصهيوني، ماذا يقولون؟، ماذا ياكلون؟، وكيف يتصرفون؟، ليكون التعليق لكم أنتم في النهاية وليس لي، لعل الحقائق المقدمة في الكتاب تساعد كلاً منا في الوصول إلى وجهة نظر خاصة، معتمدة على حقائق، وأحداث واقعية.

يحاول الكتاب تبني نصيحة علم التنمية البشرية، والتي تقول: «امتلك الشجاعة، لتكون مختلفًا، ولكن لا تكن منافقًا. إن الصفة التي تجذب الأنظار إلينا، وتجعل منا شخصيات مميزة هي شجاعتنا أن نكون صادقين مع أنفسنا». فيحاول الكتاب بذلك تقديم الحقائق، متحاشيًا أي شيء كان يمكن أن يزج بين سطوره، من أجل كسب تصفيق الناس، كأن يتم ملاه بتعليقات، وجمل السب على (إسرائيل). فكم من كتاب فعل ذلك، لكن بعد التصفيق لم يبق شيئًا نعرفه بداخلنا عن ذلك الكيان، لم تتبلور معرفتنا به، وتنضج، وبالتالي لم ننجح في اتباع المقولة التي ترى إنه «لا تدوم الهزيمة إلي الأبد، إلا إذا سمحت لها بذلك!». وغالبًا نحن نسمح لها بذلك، بكلام عاطفي عن اغتصاب (إسرائيل) لأرض فلسطين، دون أن نزوّد شعبنا بمعلومات عن ذلك. هنا أحاول أن أترك المساحة لمستوطني ذلك الكيان، للحديث، حتى نعرف هل ثمة حريات وديمقراطية في (إسرائيل) أو (أرض الميعاد) كما يسمونها؟!

قبل أن نلج إلى ذلك العالم يجب أن أشكر الكاتب والمؤرخ والمناضل الفلسطيني الكبير عبد القادر ياسين، عبر رسالة أوجهها إليه:

«أستاذي الجميل، الحائط الصلب الذي يسندنا جميعًا؛ نحن (أبناؤك من آباء

آخرين)، كما تُسمّينا دائمًا. كيف لتلك السطور القليلة أن تعبر عما أشعر به تجاهك؟!، وأنت تسكب أبوتك، وعواطفك على كل من يطرق بابك، كما فعلت معي، فما كان لهذا الكتاب أن يخرج إلي النور لولاك».

اخترت فترة ٢٠٠٦-٢٠٠٧ بالذات لعلها تنجح في التعبير عن أحوال الكيان الصهيوني، لأن عام ٢٠٠٨ هو العام الستون لقيام (دولة إسرائيل). وبهذا سيساعدنا العامان المختاران في معرفة أوضاع هذا الكيان، قبيل بلوغه لعامه الستين، ماذا جنى؟، وماذا خسر؟، وماذا ينتظره؟، وينتظرنا؟. وبشكل عام فتلك الأحداث التي يتحدث عنها الكتاب ليست مقصورة على العامين المذكورين فقط، إنما تتكرر وتعيد نفسها، حتى أن أغلبها حدث مرة أخرى خلال عام ٢٠٠٨، أو استمرت تداعياته، أو ظل يحدث كل يوم، لأنه من الأحداث وثيقة الصلة بالمجتمع الإسرائيلي. يبقى أن أذكر أن النواة الأولى لذلك الكتاب تمثلت في مقالاتي التي نشرت في جريدة «القاهرة» خلال عام ٢٠٠٦.

لكي نواكب تلك الفترة، كان من الضروري أن نتعرف على خريطة الأحداث التي جرت في الكيان الصهيوني، أثناء الإعداد للكتاب، لتبدأ أحداث ٢٠٠٦ -كما لخّصتْها الصحيفة الإسرائيلية «إسرائيل إنسايدر»- بإنسحاب شارون من الحياة.

ثم غزت أنفلونزا الطيور (إسرائيل)، في مارس ٢٠٠٦ الذي شهد، أيضًا، فوز حزب كاديما في الانتخابات الإسرائيلية. وبالطبع، كان اختطاف جلعاد شاليت، المجند الإسرائيلي، من قِبَل المقاومة الفلسطينية، هو الحدث الرئيسي في شهر مايو، مما أدى لإندلاع الحرب الإسرائيلية اللبنانية الثانية، في يوليو، وتزامن مع التحقيق في فضيحة موشيه كتساف، الرئيس الإسرائيلي السابق، للتأكد من صحة إدعاء المجندة الإسرائيلية -التي أتهمته بالتحرش الجنسي بها.

لتبدأ محاكمة أخرى لحاييم رامون، وزير العدل السابق، حول تهمة مشابهة في شهر سبتمبر، وينتهي الشهر بتقاعد رئيس المحكمة الإسرائيلية العليا، القاضي أهارون باراك، الذي نقل مركز القرار التشريعي من الكنيست الى أروقة المحكمة العليا، بعد على بلوغه سن التقاعد.

أما في نوفمبر، فقد قام جيش الدفاع الإسرائيلي بقصف بيت حانون، في قطاع غزة، فسقط ضحايا فلسطينيون أُضيفوا إلى الشهداء اللبنانيين في الحرب اللبنانية الأخيرة التي شنها الكيان الصهيوني على لبنان. ليكسر، أخيرًا، ديفيد جروسمان-الكاتب اليساري الإسرائيلي- صمته، بعد وفاة ابنه في تلك الحرب اللبنانية، ويتحدث، في ذكرى اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق؛ إسحق رابين، عن أزمة (إسرائيل)، وعن فشل (عملية السلام).

تأكدت هذه الأزمة، بقيام أربعين ألف موظف في القطاع العام الإسرائيلي بإضراب، على أثر التأخر في دفع الرواتب ومخصصات صناديق التقاعد، وأدى الإضراب الى توقف العمل، خاصة في مطار بن جوريون الدولي، وفي الموانئ، والمراكز الحدودية، والسكك الحديد، بالإضافة إلى الإدارات، والوزارات. وأنتهى الأمر بقرار المحكمة المختصة بنزاعات العمل باستئناف العمل، ومنع أي حركة إضراب، على مدى أسبوع، مع دعوة المحكمة الخزانة لدفع الرواتب المتأخرة.

كما شهد الشهر نفسه أزمة أخرى، وهي هروب بيني سيلا -المجرم المغتصب في تل أبيب- والذي كان قد قبض عليه، عام ٢٠٠٠، بتهمة اغتصابه للنساء والفتيات في منازلهن، في وقت متأخر، أو في الصباح الباكر. وأختُتم العام بلقاء أولمرت بعباس في ديسمبر.

وبالوصول إلى عام ٢٠٠٧ طُرحت ميزانية (إسرائيل) على الكنيست للتصديق

عليها، فكانت النتيجة موافقة ٦٣ عضوًا ورفض ٣١ آخرين لها، في حين تنصل أربعة من التصويت. وأهم ما اشتملت عليه الميزانية -كما ذكر وزير المالية أبراهام هيرشون- المبلغ الكبير المرصود لأمن (إسرائيل)، ثم للقضايا الاجتماعية وتم رصد أربع وعشرين مليون أخرى لحماية جاليات الجوار في غزة وهو البند الذي عارضه أكثر من نصف الأعضاء.

شهد العام ٢٠٠٧ مجموعة أحداث هامة في الكيان الصهيوني، كان منها اتهام أولمرت بحصوله على رشوى -في صفقة خصخصة بنك ليئومي- ثم كانت تولية شيمون بيريز رئاسة الدولة، إضراب الطلبة -بسبب رفع المصروفات الدراسية- وتبعه إضراب كبير قام به المدرسون. كما قامت مجموعة من رجال الأعمال بشن حملة لإطلاق سراح إيجال عامير ،قاتل رئيس الوزراء السابق، إسحق رابين، تلك الحملة التي عرضوا رابين فيها بصورة سلبية.

أما قرب نهاية عام ٢٠٠٧ فزارت كونداليزا المنطقة معلنة أن غرضها (إرساء السلام)، هذا السلام الذي حصل عنه أحد المؤرخين الإسرائيليين على جائزة من معرض فرانكفورت الدولي بألمانيا، وتصاحب في العام نفسه فوز (إسرائيل) بأفضل صورة صحفية للعام. لتقوم (إسرائيل) في أكتوبر ٢٠٠٧ بعمل أول تبادل للأسرى بينها وبين حزب الله بعد الحرب اللبنانية دون أن يكون جلعاد شاليت وسط العائدين!.

باسمين مجدي

القاهرة ٢٠٠٨